بناء الكعبة والاحتكام في موضع الحجر الأسود

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 28 مايو 2018

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

تتفق كل كتب السيرة النبوية الشريفة (مثل: سيرة ابن هشام، وفتح الباري وغيرها) أنه لما بلغ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم خمسًا وثلاثين سنة اتفقت قريش على إعادة بناء الكعبة المشرفة وذلك للعديد من الأسباب التي ليست موضع حديثنا هنا، ويذكر ابن هشام «حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه من دون الأخرى، حتى تحاوزوا وتحالفوا، وأعدوا للقتال. فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دمًا، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا لعقة الدم. فمكث قريش أربع ليال أو خمسًا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد، وتشاوروا وتناصفوا.

فزعم بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذ أسن قريش كلها؛ قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا».

وقال العسقلاني في فتح الباري «فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا: نُحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة، فكان النبي صلى اللّه عليه وسلم أول من خرج منها، فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل».

وفي موضع آخر من فتح الباري عن أبي داوود الطيالسي يقول «فكان النبي صلى اللّه عليه وسلم أول من دخل منه، فأخبروه، فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه، ثم أخذ فوضعه بيده».

وهذا الحادث إن كان يدل، فإنه يدل ببساطة على فطنته وذكائه وقدرته القيادية على تدبر الأمور، بالإضافة إلى ثقة كل هؤلاء الناس به صلى اللّه عليه وسلم، فلم يجادله أحد فيما ذهب إليه من حل ولم يناقشه أحد ولم يعترض على فكره أحد، بل كان هو الأمين الذي كان حريص على لم الشمل وعدم انشقاق المجتمع المكي الذي كاد أن ينشق بسبب العصبية الجاهلية، فبسبب هذا الفعل البسيط الذكي في نفس الوقت استطاع لم الشمل والخروج من الموضوع والجميع راض.

وهذه الحوادث والعديد منها التي لم نذكرها هنا تعطينا دلالة أنه صلى اللّه عليه وسلم كان مشاركًا في كل الأحداث التي كانت تجري في قومه ومدينته ولم يكن منعزلاً عنهم، وهو لم يكن مراقبًا فحسب، وإنما كان مشاركًا بوجدانه وجسمه وحياته، فعاش كل

تلك الأحداث وعايشها واطلع عليها، وعن قرب فلم يكن زعماء قريش مثل أبو جهل والوليد بن المغيرة وغيرهم أفضل منه، فقد كان صلى اللّه عليه وسلم عليمًا مطلعًا مثلهم على كل تلك الأحداث التي جرت في مكة سواء قبل بعثته أو حتى بعدها.

موعدنا غداً لنستكمل البدايات الصعبة من حياة الرسول صلى اللّه عليه وسلم.